المعيار

مجلة دورية محكمة تصدر عن المركز الجامعي تيسمسيلت. الجزائر

العدد : 03 / جوان 2011

المركز الجامعي: تيسمسيلت - الجزائر- الهاتف/الفاكس
: 046/47/56/18

منشورات

AL MI'YAR

Revue périodique publiée par le Centre Universitaire de Tissemsilt Algerie

N° 3. Septembre 2011

شارك في العدد

عبد القادر رابحي. سعاد شريف. مسكين دايري. مختارية بلعبدي. علي بوعزيزة. كاملة مولاي. خالد بن شعيب. بوبكر معزيز. عبد الرحمن براهيم فواتيح. براهيم بلقاسم. أحمد لعروسي. توفيق مالكي. أحمد شامي. أحمد محمودي. بوعبد الله رابحي. صغير عبد الصمد.

Centre Universitaire de Tissemsilt Algerie .Tel / fax: 046 47 56 18

ISSN 2170-0931

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير

أ. مرسي رشيد

المركز الجامعي: تيسمسيلت. الجزائر.

الهاتف/الفاكس: 18 56 47 046

البريد الألكتروني:

Rachidmersi @yahoo.fr

ISSN 2170-0931

شروط النشر وضوابطه

– المعيار مجلة علمية محكمة تنشر البحوث الأكاديمية والدراسات الفكرية والعلمية والأدبية التي لم يسبق نشرها من قبل.

– دورية تصدر مرتين في السنة عن المركز الجامعي بتيسمسيلت. الجزائر.

– تُقبل البحوث باللغات العربية والفرنسية والانجليزية.

– تخضع البحوث والدراسات المقدمة للمجلة للشروط الأكاديمية المتعارف عليها.

– تخضع البحوث للتحكيم من طرف اللجنة العلمية للمجلة.

– تُقدم البحوث والدراسات مكتوبة في ورقة على مقاس (24/17) بهامش 2.5سنتيم عن يمين الصفحة ويسارها وأسفلها وهامش 2.00سنتيم عن أعلى الصفحة.

– تتم الكتابة بخط (Traditional Arabic) حجم(16)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (14).

– تتم كتابة البحوث كاملة أو الفقرات والمصطلحات والكلمات باللغة الأجنبية داخل البحوث المكتوبة باللغة العربية بخط (Times new roman) حجم (14)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (12).

– تكون الهوامش والإحالات في آخر الدراسة ولا يستعمل فيها التهميش الأوتوماتيكي.

– يُقدم البحث في قرص مضغوط ونسخة ورقية مطبوعة.

– لا يقل حجم البحث عن10صفحات ولا تتجاوز 20 صفحة.

– الأعمال المقدمة لا تُردّ إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

– المواد المنشورة تعبر عن آراء أصحابها، والمجلة غير مسئولة عن أراك وأحكام الكتاب.

كما أن ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات تقنية وفنية.

رئيس المجلة : د. **بن جامعة الطيب**. مدير المركز الجامعي تيسمسيلت

المدير المسؤول عن النشر **د. بلحسين محمد.**
مدير مساعد مكلف بالدراسات.

رئيس الهيئة **أ. دردار بشير.**

رئيس التحرير **أ. مرسي رشيد.**

هيئة التحرير

أ. **دايري مسكين** أ. **تواتي خالد**

أ. **روشو خالد** أ. **لعقاب الجيلالي**

أ. **بلخياطي الحاج لونيس** أ. **يعقوبي قدوية**

الهيئة العلمية

أ.**د محمد عباس**. جامعة تلمسان.

د.**بوسماحة الشيخ**. جامعة ابن خلدون. تيارت.

أ.**د مختار حبار**. جامعة وهران.

أ.**د شريط عابد**،جامعة ابن خلدون . تيارت.

أ.**د عبد الجليل مرتاض**. جامعة تلمسان.

د. **عبد القادر رابحي**. جامعة سعيدة.

أ.**د محمد بلوحي**. جامعة سيدي بلعباس.

د. **علي كبريت**، المركز الجامعي. تيسمسيلت.

التنفيذ التقني

لخضر بوسعيد ونورة عرجان

تصميم الغلاف **بد القادر رابحي**

كـلـمـة افـتـتـا حـيـة

بصدور عددها الثالث تكون مجلة المعيار قد تخطت بإذن الله تعالى مرحلة البحث عن تصور أولي لترسيخ رؤية بحثية في المركز الجامعي بتيسمسيلت، لتدخل في مرحلة أكثر ثقة بنفسها وبإمكانياتها العلمية والمعنوية في تثبيت تجربة العمل على ترسيخ هذه الرؤية من خلال الحفاظ على تقاليد العمل العلمي ونشره في دورية تطمح لتحقيق البقاء والاستمرارية من جهة، وتوسيع دائرة المعرفة على مستوى المركز الجامعي والخروج بها من ثمة إلى معانقة تجارب أعمق في الجامعات الجزائرية الأخرى.

ونحن إذ نشكر مسئولي المركز الجامعي بتسمسيلت على ما وفروه من إمكانات مادية من أجل صدور المجلة في موعدها، فإننا نشكر كذلك كل من ساهم من الأساتذة في توفير المادة العلمية. وستسعى المجلة بإذن الله تعالى أن تتفادى هفواتها الأولية بتنويع مصادر مادتها العلمية والحرص على تقديمها في صورة صارمة يكون هدفها خدمة البحث والباحثين والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

د. محمد بلحسين.

المدير مسئول النشر

محتويات العدد

اللغة والأدب العربي

– شعرية ما بعد السبعينيات واستحضار المرجعيات المغيّبة في النص الشعري الجزائري المعاصر/**د. عبد القادر رابحي**.....**ص:09**

– شعرية التناص في رواية فوضى الحواس لأحلام مستغانمي

أ: سعاد شريف.....**ص:27**

– السيميائيات تحوّل مستمر في البحث عن الدلالة

أ. مسكين دايري.....**ص:42**

– مصطلح التناص في النقد الحديث

أ: مختارية بلعابدي.....**ص:54**

– صورة تلمسان في الشّعر من ابن خميس إلى كلود موريس

أ.بوعزيزة علي.....**ص:72**

– التركيب المنهجي لدى محمد مفتاح (تناهج أم تلفيق)؟

أ.كاملة مولاي.....**ص:90**

– التحليل النفسي وجمالية التلقي

أ. خالد بن شعيب.....**ص:112**

– العقل المستعار في "منهج طه حسين"

أ. بوبكر معزيز.....**ص:133**

-استنباط الأحكام الفقهية والبيانية من خلال أسلوب الالتفات

أ: عبد الرحيم إبراهيم فواتيح .....ص: 149

- تقارض حروف المعاني بين النحو والبلاغة

د. ابراهيم بلقاسم..... ص:162

العلوم القانونية والإدارية

-المسؤولية المدنية لدولة الاحتلال عن انتهاكات حقوق الإنسان

أحمد.لعروسي.....ص:176

-الإبلاغ كآلية لمكافحة جرائم الفساد

أ. توفيق مالكي.....ص:195

-أثر العولمة على التحول الديمقراطي في الجزائر خلال دستور 1996

أ. أحمد شامي.....ص: 217

العلوم الاقتصادية ولتجارية

- فعالية تسعير الخدمات في تحقيق رضا العميل في سوق خدمة الهاتف النقال دراسة حالة مؤسسة أوراسكوم تيليكوم الجزائر Gsm Djezzy

أ. أحمد محمودي.....ص:247

- دراسة علاقة التكوين المهني بالمحيط الاقتصادي في ظل إصلاحات المنظومة التكوينية

أ. بوعبد الله رابحي.....**ص:262**
- واقع مؤشرات اقتصاد المعرفة في الجزائر
أ. صغير عبد الصمد.....**ص:285**

تقارض حروف المعاني بين النحو والبلاغة

د. إبراهيم بلقاسم
كلية الآداب والفنون. جامعة مستغانم

توطئة:

في لغتنا العربية ظواهر حقيقة بالمراجعة بشيء من الصبر والرصانة، ومعقد الأمر في تقديري أنّ اللغة في ثرائها وتوسّع طرائقها وتشعّب أفانينها بلغتنا ومن قبلنا منتجا لا قاعدة، فانشغلنا برد المنتج إلى أصول قاعدية يذهب الظن إلى أن بعضا منها لا يستقل بمبرر لأنه عند إمعان النظر ينمي إلى أصل غير الذي قرّرته تخريجات النّحويّين، ولعله مما يعين على هذا المذهب أنّنا نجد ما يكفي للاستغناء عن هذه الظواهر.

إنّي أربأ بالقارئ أن يفهم من هذا استهانة بعمل العلماء الأوائل لانّ ذلك في تقاليد البحث العلمي وقيمه ذاتية تقصيها روح العلم، إنما أقصد أن نعمل على الاهتداء إلى منهج يوفّق بين هذه الظواهر بما يحقق لنا عقيدة متزنة منسجمة وأرى أنّه من أهمّها ظاهرة تقارض حروف المعاني.

الحرف مفهوما:

الحرف من كل شيء طرفه وشفيره وحدّه، ومن الجبل أعلاه وعند النحاة: ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل. و ما سواه من الحدود فاسد.[1]

ويشير الخليل في معجمه إلى معنى الميل في لفظ الحرف ومنه التحريف المنسوب إلى طائفة من بني إسرائيل في قوله تعالى: يحرفون الكلم عن مواضعه فالتحريف في القرآن تغيير الكلمة عن معناها وهي قريبة الشبه كما كانت اليهود تغير معاني التوراة بالأشباه ... و يحرف فلان عن فلان وانحرف واحرورف واحد أي مال و الإنسان يكون على حرف من أمره كأنه ينتظر و يتوقع فإن رأى من ناحية ما يحبّ وإلا مال إلى غيرها.[2]

وقد عرفه سيبويه بقوله: وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل... وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فنحو: ثمّ وسوف وواو القسم ولام الإضافة ونحوها[3].

وتولى السيرافي بيان مقصد سيبويه موضّحا: فإن سأل سائل فقال: لم قال: وحرف جاء لمعنى، وقد علمنا أن الأسماء والأفعال جئن لمعان؟ قيل إنّما أراد: وحرف جاء لمعنى في الاسم والفعل وذلك أنّ الحروف إنّما تجيء للتأكيد كقولك: إن زيدا أخوك، وللنفي كقولك: ما زيد أخاك، ولم يقم أبوك، وللعطف كقولنا: قام زيد وعمرو، ولغير ذلك من المعاني التي تحدث في الأسماء والأفعال، وإنما تجيء الحروف مؤثرة في غيرها بالنفي والإثبات والجمع والتفريق، وغير ذلك من المعاني[4].

وقد اجتهد الزجاجي في ربطه بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي إذ يقول: وسمي الحرف حرفا لأنه حد ما بين الاسم والفعل ورباط لهما والحرف حد الشيء فكأنه لوصله بين هذين كالحروف التي تلي ما هو متصل بها. [5]

ومن تعريفات المحدثين حد الغلاييني إياه بقوله: ما دلّ على معنى في غيره مثل هل وفي ولم وعلى وإن ومن، وليس له علامة يتميّز بها كالاسم والفعل. [6]

يقترح بعض علماء الأصول أن يعرّف حرف المعنى بأنه ما أوجد معنى في غيره، فهو أدق وأسدّ من أن يقال بأنّه ما دلّ على معنى في غيره «لأنّ الدلالة تستدعي ثبوت المدلول وتقرّره والمفروض أنّه ليس للمعنى الحرفيّ تقرّر وثبوت."[7]

ظاهرة التّقارض:

سنعرض فيما يلي إلى صور من التقارض، ونجتهد للتعليق على هذه الحالات بما يدل على تظافر كثير من الأدوات والأحكام لتثبيت هذه الظاهرة.

(من) بمعنى **(على)**: من شواهده قوله تعالى: **"ونصرناه من القوم الّذين كذبوا بآياتنا"**[8] أي على القوم. ويرى السّمين الحلبيّ [9] أنّ «من بمعنى **على** أو ضمّن الفعل

نصرناه معنى الفعل (منعناه أو عصمناه) وذلك كقوله تعالى: فمن ينصرنا من بأس الله [10] فلمّا ضمّن معناه تعدّى تعديته.

والمتأمل يجد بونا ظاهرا بين نصرناه من القوم ونصرناه على القوم لأنّ **نصره على** تعني ظهر وغلب و**نصره من** تعني استردّ له حقّه المسلوب من سالبه مكافأة ومثلا بمثل، ومن فيها دلالة على أنّ النّصر لم يكن مجرّد قهر مثلما هو حال الفتح والمصالحة، إنّما هو أخذ من نفس العدوّ خاصّة. ثم لنظر إليه وهو يقول بتضمين الفعل **نصر** معنى الفعل **عصم** في الآية التي عضد بها، فهو أحد الأمرين: إما أن تفهم من بمعنى على أو يفهم نصر بمعنى عصم، ويبقى الحرف **من** على أصله أما الحالة الثالثة فكأنما هي مرفوعة.

لا بدّ من اعتبار السّياق لأنّه حاكم يمكّننا من بيان الفرق الدّقيق بين هذه الحروف الّتي يعتقد أنّها متبادلة بتكافؤ بحيث يحلّ بعضها محلّ بعض دون إضافة معنويّة، ولا يمكن التّبرير بحجّة الاتّساع في اللّغة لأنّ الاتّساع ليس مجرّد إرادة للتّنويع والتّكثير والتّفنّن مع التّغاضي عن قوانين التّركيب ومقتضيات المعنى ابتغاء أن يقال عن اللّغة أنّها ثريّة وأنّ مسالك التّعبير فيها جمّة لعدم الحجر على سبل التّعبير عند أهلها.

هذا التّصوّر يقضي على القوانين والقواعد اللّغويّة، ويزيح الضّوابط، ثمّ يقع خلط ولبس نهاية الأمر وذلك جرّاء تحكيم الغاية في السّبب جريا على الميكيافيليّة في شؤون السّياسة (الغاية تبرّر الوسيلة) وقد تفطن بعض العلماء إلى اللجوء السريع من غير إعمال روية إلى القول بالتقارض متخطين بذلك ومعطلين مسالك حريّة بالمراجعة أولا، فهذا ابن جني

يقول:"هذا الباب يتلقّاه النّاس مغسولا ساذجا من الصّنعة، وما أبعد الصّواب عنه وأوقفه" [11]

وفي هذا دليل على تساهل الناس في الأخذ به كلّما أشكل عليهم الأمر، ولم يهتدوا إلى مخرج كأنّما يتخلصون من الاستغلاق الّذي وقعوا فيه. وعلى فرض مجاراة القائلين بذلك فإنّ سؤالا وجيها يلحّ على القارئ يتعلق بجدوى هذه التعابير التي انزاحت عن أصلها ثمّ ردّت من غير أن تكون هناك نكتة بيانيّة. وكأن هناك عبارات معيارية ترد إليها بقية أنماط التعبير لأن الخلاف شكلي لفظي فحسب.

يذهب البصريّون إلى أنّ حروف الجرّ لا يمكن أن ينوب بعضها عن بعض قياسا على حروف الجزم وأحرف النّصب، ودليل ذلك عندهم إمّا التّأويل الّذي يقبله اللّفظ كما في قوله تعالى " **ولأصلبنّكم في جذوع النّخل** "[12] إنّ **في** ليست بمعنى **على** ولكن شبّه المصلوب لتمكّنه من الجذع بالحالّ في الشّيء، وإمّا على تضمين الفعل معنى فعل آخر يتعدّى بذلك الحرف، وإمّا على إنابة كلمة عن أخرى ... ومذهب البصريّين في هذا الشّأن هو التجوّز في الأفعال أولى من التجوّز في الحروف [13]

هذا مقبول جدّا لأنّ الحرف في مفهومه هو ما لا يحقّق معنى بمفرده فكيف يستبدل إذن؟ ونضيف إلى ذلك أنّ ما يتعلّق به الحرف قد يكون محذوفا أصلا، ولا سبيل إلى معرفته إلا تقديرا.

(عن) بمعنى (من)

ومن شواهده قوله تعالى: وهو الّذي يقبل التّوبة عن عباده ويعفو عن السّيّئات[14] أي من عباده. وقوله عزّ وجلّ (أولئك الّذين نتقبّل عنهم أحسن ما عملوا) [15] أي منهم والدّليل أنّ **عن** بمعنى **من** ما ورد في قوله تعالى: «فتُقُبّل من أحدهما ولم يُتقبّل من الآخر»[16] وكذلك ما ورد في قوله تعالى: «ربّنا تقبّل منّا »[17]

وفي تقديري أنّ **من** تستعمل باعتبار المرسل أو الفاعل، أمّا **عن** فتستعمل باعتبار العمل أو الشّيء في حدّ ذاته. ففي قصّة ابني آدم دليل على أنّ الله لم ينل قبوله هابيل

في حدّ ذاته، والسّياق فيما بعد يفضح ذلك: «إنّما يتقبّل الله من المتّقين»[18] فهو لم يكن متّقيا وهذا سرّ عدم رضا الله عن عمله من حيث أنّ فاعله غير سليم وفاسد، فهو غير مقبول منه لأنه غير متق وهو الأصل باعتباره العامل، ولو وصفه بأنه غير مقبول عنه لفهم أن المقصود العمل. و**من** هنا تفيد المبدأ (البداية) والمنطلق كما نرى، أمّا في بقيّة الآيات الّتي تستعمل فيها الأداة **عن** فإنّ القبول وعدمه متعلّق بالعمل وذلك يمثّل المنتهى باعتباره ينفصل عن صاحبه في اتّجاه المرسل إليه وبهذا تحافظ الحروف على معانيها الأصول المستقرأة من سياقات الاستعمال من غير أن نبدلها أو نبدل مجاورها بدعوى التضمين، وعلى هذا النحو يمكن أن نقرر ما يلي:

من: تفيد المنطلق (الّذي يقع منه الحدث)

عن: العمل عند تمامه وانفصاله عن المنطلق

إلى: وصول العمل واتصاله بالمتلقّي

نقول: أخذ منه العلم: باعتبار صاحب العلم (البداية أي المعلم أو العالم)

أخذ عنه العلم: باعتبار المأخوذ (المنتقل أي العلم أو المعرفة)

أخذ علمه إليه: باعتبار الأخذ (النهاية أي المتعلم)

(على) بمعنى (في): و شاهده قوله عز من قائل: «واتّبعوا ما تتلو الشّياطين على ملك سليمان»[19] أي في ملك سليمان، أو في زمن ملك سليمان، ومن الشّواهد أيضا قوله تعالى:« ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها»[20]

أي في حين غفلة[21]

و لا أرى موجبا لأن يُفهم **على ملك سليمان** بمعنى **في ملك سليمان** أو في **زمن ملك سليمان**، ولا يفهم الملك بمعنى **مملوكات سليمان**، والمقصود الناس كما تفسّره الآية فيما بعد.« وما كفر سليمان و لكنّ الشّياطين كفروا يعلّمون النّاس

السّحر»[22] ولأنّ زمن التّلاوة ليس بمهمّ، كما أنّه لا فرق في المعنى بين قولنا: في ملك فلان أو في زمن ملك فلان، و قد يعضد قولنا أنّه دعا ربه: « رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي»[23] فوهبه الله ذلك الملك من الجنّ و الإنس و الطّير

أمّا في قوله تعالى:« على حين غفلة من أهلها» فالحرف **على** ليس بمعنى **في** لأنّ على – في سياق هذه الآية- لا تتعلّق بالفعل دخل وإنّما تتعلّق بأهل القرية أي وأهلها على حين غفلة و**على** تستعمل للدلالة على الحال كما في قوله تعالى:"كلّ من عليها فان" [24] (المراد به من هو على حياة أي حي)، " فمن كان منكم مريضا أو على سفر" [25] (أي مسافر)،والتقدير الإعرابي:« ودخل المدينة غافلا أهلها»

(في) بمعنى (على): قوله تعالى: «**ولأصلبنّكم في جذوع النخل**» [26]. أي على جذوع النخل ومن شواهده قول عنترة [27]

بطل كأن ثيابه في سرحه ** يحذى نعال السبت ليس بتوأم

أي على سرحه من طولها، ومنه أيضا قول سويد بن أبي كاهل[28]:

وقد صلبوا العبديّ في جذع نخلة ** فلا عطست شيبان إلا بأجدعا

أي على جذع نخلة

ومن ذلك: " **لا يدخل الخاتم في إصبعي**" [29]

وكتعليق على هذا المذهب في الفهم نرى أن النكتة البلاغية البيانية هي أنه تستعمل **في** بدل **على** لإفادة المبالغة كمعنى بلاغي، ففي الآية يقصد التخويف بصلبهم الشديد فجيء بـ "**في**" الدالة على الملازمة حتى كأن المصلوب والمصلوب عليه شيء واحد أحدهما وعاء والثاني موعى وهذا مبالغة في الصلب وفي تفيد شيئا من الديمومة بينهما بينما تفيد **على** مجرد السطحية أي أن يتم عمل الصلب على الجذوع، وقد يمكن إنزالهم بعد ذلك. ونظير هذا:

غرّد الطائر في الغصن [30]

لبيان تعدّي التغريد من الطّائر إلى الغصن حتّى كأنّنا نسمع التغريد آتيا من الغصن من غير أن نرى الطائر.

آثار القول بالتقارض:

1- القول بالتضمين والحمل على النقيض و تعطيل التأويل:

إن التسليم المبدئي بتقارض حروف المعاني أفضى بالقائلين إلى التضمين الذي هو تعديل في مجاورات هذه الحروف كي تحافظ على معانيها الشائعة المتفشية، وبل ذهبوا إلى أبعد من ذلك قولهم بالحمل على النقيض كتعدية الفعل اللازم، ومن ذلك الفعل رضي فقد اشتهر في تعديته بـ (عن) في القرآن وكلام العرب نحو قوله تعالى: رضي الله عنهم ورضوا عنه غير أنه ورد متعديا ب(على) حملا على نقيضه سخط نحو قول الشاعر:

إذا رضيت عليّ بنو قشير ** لعمر الله أعجبني رضاها

أراد (عنّي) ووجهه أنه إذا رضيت عنه أحبّته، وأقبلت عليه، فلذلك استعمل (على) بمعنى (عن) وكان أبو عليّ الفارسي يستحسن قول الكسائي في هذا لأنه قال: عدى رضيت بـ(على) كما يعدّي نقيضها وهي سخطت به، وكان قياسه رضيت عني، وإذا جاز أن يجري الشيء مجرى نقيضه فإجراؤه مجرى نظيره أسوغ. فهذا مذهب الكسائي وما أحسنه! وفيه غيره على ما كنا بصدده وذلك أنه إذا رضي عنه فقد أقبل عليه، وكأنه قال: إذا أقبلت عليّ بنو قشير، وهو غور في العربية طريف ولطيف ومصون وبطين. [31]

وجلي أنّ الفهم الذي يسبق للذهن هو الذي يهيمن ويتسلط، و منه توجه التعديلات إلى كل ما لم يتفق معه بحيث يحصل لدينا ثلاثة معان متراتبة يأخذ بعضها برقاب بعض ليّا متعسفا المعاني الذهنية الحاصلة لأول وهلة غفلا من جميع محايثاتها،

والمعاني النحوية المقررة في قواعد النحو وأحكامه، والمعاني البلاغية التي تتنوع بتنوع بناء العبارات تقديما و تأخيرا وحذفا ...إلخ.

ومثال ما أشرت إليه أن صاحب المعجم الوافي يعدّ للحرف (على) عشر معاني بحسب سياق الاستعمال، ويذكر لها حالة تخرجها من حد الحرفية إلى حد الاسمية بمعنى فوق إذا دخلت عليها من الجارّة لأن حرف الجر لا يدخل عليه حرف جر مثله، نحو: نزل الخطيب من على المنبر أي من فوقه. (32)

ومن عجيب ما يقرره أن معنى **على** يكون القرب من المجرور كما في قوله تعالى" أو أجد على النّار هدى " ومنه أحال أن تكون على مفيدة للاستعلاء لا حقيقة ولا مجازا في قولنا اعتمد على الله، وأتوكل عليه وكأن المعتمد أو المتوكل يقصد ذات الله تعالى لا أسبابه التي هيأها ليعتمد ويتوكّل عليها عباده، وهذا المأتى ثغرته تعطيل التأويل والوقوف عند حدود اللفظ (33)

2- تذبذب المنهج :

إنّ المنهج يقتضي الثبات على خطة معلومة لا يعدوها صاحبها إلى غيرها إلا بمبرر يتخطى المنهج ولا يجد جوابه في مماشاته، فلا توضع أمام الباحث أو القارئ خيارات وبدائل يأخذ بذاك إذا لم يسعفه هذا ويلوذ بمخرج ثالث إذا لم يجد ضالته في الأولين وهلمّ جرّا، ثمّ ينعت ذلك بالسّعة والتسامح والتجاوز، وما إليها من ألقاب الفخار باللغة العربية وتفرد خصائصها.

فهذا الزجاجي يذكر أن الأداة **هل** تكون للاستفهام كقولك: هل خرج زيد وتكون بمعنى **قد** كما في قوله تعالى "هل أتى على الإنسان حين من الدهر(34) إذ معناه **قد** أتى وتكون بمعنى **ما** النافية كما في قوله تعالى" هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة"(35) وكقوله تعالى" هل ينظرون إلا تأويله" (36) ويفعل مثل ذلك مع بقيّة الأدوات يذكر

معانيها حسب السّياقات التي أتيحت لها استعمالا من غير أن يقول بأنّ هذه هي الأصل وأنّ ورودها بمعنى غيره تقارض [37]

ولكنه لا يثبت على ذلك إذ يقرر أنه تجيء **في** مكان **من كما** في قوله تعالى: "إذا اكتالوا على الناس يستوفون"[38] أي من الناس، وتقع بمعنى عند كقوله تعالى: "ولهم عليّ ذنب" أي عندي [39]

والتأمل يرشدنا إلى أنّ الحرف **على** في قوله تعالى (اكتالوا على الناس) فيه دلالة على الاستعلاء الذي استدعه أنانيتهم فقدروا أنفسهم متعالية لا يمكن أن تهضم حقوقها بل توفى على الوجه الذي يحفظ لهم كرامتهم وعزتهم. وفي قوله تعالى (ولهم علي ذنب) يفيد الحرف على من المسؤولية ما لا تفيده كلمة عند التي لا تدل على أكثر من محل الشيء وموضعه لذلك تستعمل في الماديات، نقول لفلان عندي وديعة و تستعمل على في المعنويات كما في الآية، وكقولنا: له عندي مكانة ومقام و مودّة لأن هذه جميعا يترتب عليها موقف مني أما الموضوعات والمودعات فلا تتعدى حدودها المادية.

لا يبدو هنالك منهج محذوّ من قبل الزجاجي في حديثه عن معاني الحروف فتارة يسرد للحرف معاني على السواء من غير أن يجعل أحدها أصلا مأموما، وتارة يقرر معنى يفرضه على بعض السياقات بدعوى التقارض، ومن الحالة الثانية قوله عن **الباء** أنّها تكون للإلصاق كقولك: مررت بزيد، ولا يلبث أن يقول: وقد تقع مكان **من** كقوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله"[40] تكون بمعنى يشرب منها وبمعنى يشربها قال الهذلي وذكر السحاب (الطويل)

شربن بماء البحر ثم ترفعت ** متى لجج خضر لهن نئيج

أي شربن من ماء البحر وقال عنترة:

شربت بماء الدحرضين فأصبحت ** زوراء تنفر عن حياض الديلم [41]

وكأنه لا فرق في الدلالة بين شرب من وشرب ب، والتأمل اليسير يرشد إلى أن الباء دالة على الملازمة التي أصّلوا لها معنى الإلصاق، وهو لا يعدو معنى الملازمة في صورتها الحسّيّة وجليّ أن الخلود الذي يحظى به أهل الجنان من أدل الأمور على الملاصقة بصورتها المعنوية أي (الملازمة) أمّا إذا كان الإلصاق الحسّيّ عندهم هو الأصل والمراد فهذا محوج إلى تقويم التصور وإطلاق أفقه رحبا.

فساد المنهج من فساد التصور:

إذا كان الحرف هو الذي ليس له دلالة قائمة بذاته فهذا يعني أن السياق هو المحدد الدلالي له فكيف يسوغ عقلا أن يكون الدال بغيره مقارضا لسواه بمفرده من غير التفات للسياق، وإذا نحن التفتنا للسياق واعتبرناه وقدرنا أثره فمن أين لنا أن نجعل سياقا في رتبة الحقيقة محمولا عليه وآخر في مقام المجاز محمولا، فيصبح معناه في السياق الأول هو الأصل ومعناه في السياقات الأخرى مستعارا مقترضا نائبا عن غيره.

إن التسليم بالتقارض يمليه على القائلين اعتقاد شبيه بالمشترك اللفظي حيث تؤدي المفردة معاني مختلفة تفهم من سياقاتها المتنوعة ولو أن التشابه ليس أمينا مطابقا لاعتبار الاسم قائما بمعناه بذاته خلافا للحرف، وهو ما يعزز مقبولية التقارض في المشترك، ويستبعده، بل ويحيله في حروف المعاني التي يعد السياق بالنسبة إليها مقوما وجوديا أصليا لا محددا ومميزا فحسب.

لقد أثبتت نظرية الحقول الدلالية جدواها الأكيدة في أهمية إدراك الفروق الدلالية لأن الحقل يمثل نسبة عامة ذات مبدإ قائم على الوصفية والكمية والشكلية تنهض الفروق الدلالية برسم معالم الخصوصية لمفرداته وعناصره بما يحقق الخصائص المميزة لكل فرد عن بقية نظرائه من الأسرة ذاتها، وفي ذلك من النكت البيانية والجمالية ما لا يتفطن له إلا أهل العيون الناقدة التي تلمح الدقائق والتفاصيل الخبيئة.

إن الأوجه النحوية ليست مجرد استكثار من تعبيرات لا طائل تحتها، كما يتصور بعضهم وإن جواز أكثر من وجه تعبيري ليس معناه أن هذه الأوجه ذات دلالة معنوية واحدة، وأن لك الحق أن تستعمل أيها تشاء كما تشاء، وإنما لكل وجه دلالته فإذا أردت معنى ما لزمك أن تستعمل التعبير الذي يؤديه، ولا يمكن أن يؤدي تعبيران مختلفان معنى واحدا إلا إذا كان ذلك لغة نحو قولك " ما محمد حاضرا" و" ما محمد حاضر" فالأولى لغة حجازية والثانية تميمية، ولا يترتب على هذا اختلاف في المعنى.

وفيما عدا ذلك لا بد أن يكون لكل تعبير معنى، إذ كل عدول من تعبير إلى تعبير لابد أن يصحبه عدول من معنى إلى معنى، فالأوجه التعبيرية المتعددة. إنما هي صور لأوجه معنوية متعددة. (42)

إن التسليم بوجود هذه الفروق في المعاني المؤسسة على الفروق في المباني هو الذي يحل الإشكال داخل الأسرة ذات العلاقة الحميمة التي قد نتسامح ونتجاوز الاختلاف بينها دلاليا توهما بتساويها من حيث أن مقولتها الكبرى واحدة وهو ما يجعل متلمسا للمسات البيانية على غرار فاضل صالح السامرائي يسلسل أسئلة جديرة بالطرح حيث يمضي ملفتا ومقررا لأهمية هذه الفروق: " ثم ما الفرق بين أنواع التعليل المختلفة؟

هناك تعليل باللام مثل "ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم"(43) وتعليل بالباء مثل" ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون" (44) وتعليل بمن مثل " ولا تقتلوا أولادكم من إملاق"(45) وتعليل بفي مثل " لمسّكم فيما أفضتم فيه عذاب أليم"(46) وتعليل بعن كقوله تعالى "وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه"(47) وتعليل بعلى كقوله تعالى " ولتكبروا الله على ما هداكم" (48) (49)

هكذا يتجلى لنا الحرف دالا يحتمل أكثر من مدلول على غرار المشترك اللفظي، كما يصح القول بأنه يتجلّى مدلولا لأكثر من دالّ ونقصد بذلك السّياقات التي تكشف لنا المعاني البلاغيّة التي يكتسبها بحكم موقعه المتنوّع والمتعدّد.

مسرد الإحالات

(1)- الفيروز أبادي (مجد الدين): القاموس المحيط – مطبعة دار المأمون–ط1938/4 –بيروت /لبنان.126/3

(2)- الخليل (أبو عبد الرحمن):كتاب العين (مادة حرف)– تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي– مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. 1988 – بيروت/ لبنان .210/3، 211

(3)- سيبويه: الكتاب– تحقيق عبد السلام هارون – دار الكتب العلمية .12/1

(4)- السيرافي: شرح كتاب سيبويه – تحقيق رمضان عبد التواب ومحمود فهمي حجازي – الهيئة المصرية العامّة للكتاب 1979 .52/1، 53

(5)- الزجاجي: الإيضاح في علل النحو–تحقيق مازن المبارك – دار النفائس/ بيروت–1974. ص44

(6)- مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية – راجعه ونقحه عبد المنعم خفاجي–المكتبة العصرية. صيدا/بيروت –الطبعة الثامنة والعشرون/1993.ص12

(7)- مصطفى جمال الدّين:البحث النّحويّ عند الأصوليّين– منشورات دار الهجرة .قم/إيران– ط1405/2هـ . ص65 ،66

(8)- الأنبياء/77

(9)- السّمين الحلبيّ:الدر المصون.طبعة دار الكتب العلمية .بيروت/لبنان .101/5

(10)- غافر/29

(11)- ابن جنّيّ: الخصائص – تحقيق محمّد علي النّجّار– ط دار الكتب المصريّة .القاهرة 1952– 306/2

(12)- طه/71

(13)- ينظر عبد الله أحمد جاد الكريم: ظاهرة التّقارض في الدّرس النّحويّ – مكتبة الآداب – القاهرة.ط1/ 2002. ص37

(14)- (الشّورى/ 25)

(15)- (الأحقاف/16)

(16)- المائدة /27

(17)- البقرة/ 27

(18)- (..)

(19)- البقرة / 102

(20)- القصص/ 15

(21)- ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب- تحقيق سعيد الأفغاني وآخرين .ط5– دار الفكر.بيروت/لبنان.ص191

(22)- البقرة / 102

(23)- (..)

(24)- (..)

(25)- (..)

(26)- طه/ 7

(27)- ابن قتيبة: أدب الكاتب – تحقيق محمد محيي الدين- بيروت / لبنان . ص 394

(28)- ابن قتيبة- أدب الكاتب – تحقيق محمد محيي الدين- بيروت / لبنان. ص 394.

(29)- ابن قتيبة :أدب الكاتب – تحقيق محمد محيي الدين- بيروت / لبنان . ص 394

(30)- عبد الله أحمد جاد الكريم: ظاهرة التقارض في الدرس النحوي– مكتبة الآداب – القاهرة / مصر. ص 36

(31)- خديجة أحمد مفتي: الحمل على النقيض في الاستعمال العربي- مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها- ج18- ع 30 جمادى الأولى1425هـ . ص13

(32)- علي توفيق الحمد و يوسف جميل الزعبي: المعجم الوافي في أدوات النحو العربي- دار الأمل/الأردن- ط1993/2 ص 203، 204 ،205

(33)- علي توفيق الحمد و يوسف جميل الزعبي: المعجم الوافي في أدوات النحو العربي- دار الأمل/الأردن- ط1993/2 ص203

(34)- الإنسان/1

(35)- الأنعام/158

(36)- الأعراف/53

(37)- الزجاجي: كتاب معاني الحروف– تحقيق علي توفيق الحمد–مؤسسة الرسالة. ط1986/2. ص2

(38)- المطففين/2

(39)- الشعراء/14

(40)- الزجاجي: كتاب معاني الحروف– تحقيق علي توفيق الحمد–مؤسسة الرسالة. ط1986/2. ص23

(41)- سورة الإنسان/6

(42)- الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق)- تحقيق وتقديم علي توفيق الحمد – دار الأمل/الأردن–ط1986/2 ص47، 48

(43)- فاضل صالح السامرائي: معاني النحو–شركة العاتك لصناعة الكتاب/القاهرة– ج1/ص9

(44)- هود/118، 119

(45)- البقرة/10

(46)- الأنعام/151

(47)- النور/14

(48)- التوبة/114

(49)- البقرة/ 175

(50)- فاضل صالح السامرائي: معاني النحو- شركة العاتك لصناعة الكتاب. القاهرة– ج1/ص6